القيمة العاشرة

الاهتمام بأمور المسلمين

من القيم التي يجب أن لا تغيب عن الداعية قيمة الاهتمام بأمور المسلمين، فهذا الأمر واجب على المسلمين، وعلى الداعية أوجب، كلٌ بما يستطيع.

ونبين أهمية ذلك من خلال النقاط التالية:

أولاً: الأدلة على وجوب الاهتمام بأمر المسلمين:

يقول الله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة:٧١]، «أي: قلوبهم متحدة في التوادد والتحابب والتعاطف بسبب ما جمعهم من أمر الدين وضمهم من الإيمان بالله»[1]. «فنسبتهم بطريق القرابة الدينية المبنية على المعاقدة المستتبعة للآثار من المعونة والنصرة وغير ذلك»[2].

إن رابطة الدين هي أعظم وأقوى الروابط على الإطلاق، ومِن حقوق هذه الرابطة الإيمانية: أنْ يهتم الداعية بشأن إخوانه المسلمين، وإن اختلفت الأوطان، وتعدَّدت اللغات، وتباعدت الأجساد، هذا الاهتمام الذي يدفع الداعية لدعوتهم، وللعمل من أجل نفعهم، ونجدتهم، ورفع الضيم والظلم عنهم.

فرسول الله ﷺ يقول: (مثل المؤمنين في توادِّهم وتعاطُفهم وتراحمهم؛ مَثَلُ الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تَدَاعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى)[3].

---

(١) فتح القدير للشوكاني٢/ ٣٨١.

(٢) ارشاد العقل السليم لأبي السعود ٤/ ٨٢.

(٣) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (٢٥٨٦٥).

وقال ﷺ: **(المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره.. بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه)**[(١)]. ويقول ﷺ: **(المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً)**[(٢)].

وقال رسول الله ﷺ: **(من نَفَّسَ عن مسلم كُرْبةً من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، ومن يَسَّر على مُعْسرٍ يَسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه)**[(٣)].

فهذه الأدلة كلها تدل على وحدة المسلمين وترابطهم، وأنه لا بد أن يهتم المسلم بشأن إخوانه، فهم كالجسد الواحد، ولا يتصور أن يهمل الإنسان يده أو رجله أو أي عضو من أعضائه فيتركه ولا يتحسس آلامه، إلا إذا كان أشل ميتاً، وبقدر إيمان المؤمن تتقد فيه تلك الجذوة ويتحرك فيه ذلك الإحساس، وقد قال النبي ﷺ: **(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)**[(٤)].

ثانياً: الاهتمام بأمور المسلمين في سيرة النبي ﷺ:

وقد كان اهتمامه ﷺ بأحوال المسلمين متجلّياً في كل حياته، فحين أتاه قوم من مضر عليهم علامات الفقر، - حفاة الأقدام، مُمَزَّقوا الثياب، ليس لديهم من حطام الدنيا شيء- تغيَّر وجهه، وجعل يدخل ويخرج مهموماً حزيناً، ثم صعد المنبر، فحرض المؤمنين على الصدقة لكفاية هؤلاء الفقراء، فقال: **(تصدق رجل من درهمه،**

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره.. (٦٧٠٦).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره (٤٨١)، ومسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (٢٥٨٥).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب الاجتماع على تلاوة القرآن والذكر (٢٦٩٩).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه (١٣).

من ديناره، من صاع بُرِّه، من صاع تمره، ولو بشق تمرة)، فجاء رجل بصُرَّةٍ تعجز عنها يده، وتتابع الناس، عندئذٍ تهلَّل وجهه، وعاد إليه إشراقه وتبسُّمه[(١)].

كما مكث شهراً يدعو للمستضعفين من المسلمين الذين يعانون إيذاء المشركين واضطهادهم، وكان يقول في دعائه: (اللهم أنج عياش بن أبي ربيعة، اللهم أنج سلمة بن هشام، اللهم أنج الوليد بن الوليد، اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم اجعلها سنين كسني يوسف)[(٢)].

ولما أصيب القراء في وقعة بئر معونة شعر ﷺ بمصابهم ووجِد عليهم وجدا شديدا حتى قال أنس رضي الله عنه: «فما رأيتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَزِنَ حُزْناً قَطُّ أَشَدَّ منه»[(٣)].

وبلغ من اهتمامه بأمر المسلمين أنه كان يتحمل عمن مات منهم دَيْنَه حين وسَّع الله عليه، فكان يقول: (أنا أَوْلَى بالمسلمين من أنفسهم، فمَن مات وعليه دَين؛ فعلينا قضاؤه، ومَن تَرَكَ مالاً فلورثته)[(٤)].

ويلخِّص عثمان رضي الله عنه ذلك بقوله: «إنا والله قد صحبنا رسول الله ﷺ في السفر والحضر، يعود مرضانا، ويتبع جنائزنا، ويغزو معنا، ويواسينا بالقليل والكثير»[(٥)].

نعم كان يعود المرضى، ويدعو لهم، ويشهد جنازة مَن مات، ويهتم بشأن اليتامى والأرامل، بل كان يهتم بشأن الأفراد من أُمَّته.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة (١٠١٧)، وفي كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة، والمعجم الكبير للطبراني ٢/ ٣٣٠ (٢٣٧٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٣٥٩).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب دعاء النبي ﷺ: (اجعلها عليهم سنين كسني يوسف) (١٠٠٦).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب من جلس عند المصيبة يعرف فيه الحزن (١٣٠٠).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الفرائض، باب قول النبي ﷺ: (من ترك مالا فلأهله) (٦٧٣١).

(٥) مسند أحمد ١/ ٥٣٢ (٥٠٤) وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

هكذا كان شأنه ﷺ في الاحساس بالمؤمنين، ومحبته لهم، ورحمته بهم، وسعيه في نصرتهم ونجدتهم، وكذا لا بد أن يكون الدعاة والمصلحون.

ثالثاً: واجب الدعاة تجاه إخوانهم المسلمين وقضاياهم:

واجب الداعية تجاه إخوانه هو معرفة أخبارهم وأحوالهم، وما يحتاجونه من أمور دينهم ودنياهم، وقضاياهم في بلادهم، وينبني على تلك المعرفة واجبان أساسيان:

الواجب الأول: نصرة قضايا المظلومين والمضطهدين منهم:

فينطلق الداعية في دعوته من شعوره بارتباطه بإخوانه المسلمين في كل مكان، فيتألم لآلامهم، ويفرح لأفراحهم، ويبذل ما يستطيع لتفريج كُرُباتهم، ويسأل عن أخبارهم، ويعين ضعيفهم، وينصر مظلومهم، ويمنع ظالمهم، **وأقل أحواله:** أن لا يغفل عن الدعاء لإخوانه بظهر الغيب، فإن الذي لا يهتم لأمر إخوانه ولا يتأثر بما يصيبهم من فرح أو حزن؛ إنما هو كالعضو الأشل الميت الذي لا يحس.

فعلى الداعية أن يقوم **بالنصرة وعدم** الخذلان بالوسائل المشروعة والمستطاعة لإخوانه المستضعفين في كل مكان.

فلا يترك قضية تحتاج لنصرة إلا ونظر فيها، وعرف قدر استطاعته فيها، ودعا الناس للتعاون على نصرتهم وعدم خذلانهم، بالطرق الفردية والمؤسسية والقانونية والإعلامية.

النصرة بالمال: وذلك بالإنفاق في نصرتهم، ودعم قضاياهم، وتفريج كرباتهم، وحث الناس على ذلك.

ومن أقوى الوسائل **النصرة بالدعاء**، فالدعاء هو سهام الليل التي لا تخطئ! فلا ينسى الداعية الدعاء ولا يستهين به أبداً.

الواجب الثاني: العمل على تعليمهم وتعريفهم بالإسلام حق المعرفة:

هناك عدد كبير من المسلمين يعيشون في مجتمع غير المسلمين ويعتبرون أقلية، وقد يكونون مضطهدين، فلا بد من نصرتهم كما مر في الواجب الأول، وقد يكونون غير مضطهدين، ولكن يحتاجون إلى من يعلمهم ويفقههم بالإسلام ورسالته وأحكامه، ويغرس الإيمان في قلوبهم، ويعينهم على إقامة دينهم، والحفاظ على هويتهم الإسلامية، وهوية أولادهم.

وهذا واجب عظيم جدّاً، وعلى الدعاة أن يقوموا به بأنفسهم، ويُعدوا لذلك الدعاة والمعلمين ويرسلوهم لتلك البلاد، ويبنوا المدارس والمعاهد الإسلامية، ويقوموا بزيارات متعددة لكل البلدان ليبحثوا عن المسلمين فيها ويعلموهم ويثبتوهم.

ومنه دراسة أحوال المسلمين في دول الأقليات والتعرف على احتياجاتهم وتلبيتها بقدر المستطاع، والتعاون مع الجهات الأهلية والحكومية على التعرف على أحوالهم، وتفعيل المسلمين أن يتجهوا للاهتمام بتعليم المسلمين في تلك البلاد.

الفصل الخامس

حقوق الدعاة

للداعية إلى الله حقوق على المدعوين، أو على الجهات القائمة على الدعوة، أو على ولي الأمر المناط به أمور الدعوة.

ويمكن إجمال هذه الحقوق في المباحث التالية:

المبحث الأول: التوقير وحسن الخلق مع الدعاة.

المبحث الثاني: المناصحة وعدم التقليد لأخطاء الدعاة.

المبحث الثالث: النصرة والتأييد للدعاة.

المبحث الرابع: حفظ أعراض الدعاة والنهي عن تتبع زلاتهم.

المبحث الخامس: احترام خصوصيات الدعاة.

المبحث السادس: تحقيق الأمن للدعاة وعدم أذيتهم.

المبحث السابع: الصبر على ما يصدر من الدعاة.

المبحث الثامن: الدعاء للدعاة.

المبحث الأول

التوقير وحسن الخلق مع الدعاة

ويمكن إجمال الكلام في هذا في المطالب التالية:

المطلب الأول: أهمية التوقير وحسن الخلق مع الدعاة.

المطلب الثاني: توجيهات السلف بالأدب مع العلماء والدعاة.

المطلب الثالث: نماذج من توقير العلماء والدعاة والأدب معهم.

المطلب الأول
أهمية التوقير وحسن الخلق مع الدعاة

لا بد من توقير الدعاة وحسن الخلق معهم، فهم خير الخلق كما قال: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وكلامهم خير الكلام، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣].

وبيان هذا الأمر في النقاط التالية:

أولاً: الأدب مع العلماء والدعاة سنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

قال تعالى عن وعد موسى عليه السلام للخضر: ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ [الكهف: ٦٦]، «فأخرج الكلام بصورة الملاطفة والمشاورة، وأنك هل تأذن لي في ذلك أم لا؟ وإقراره بأنه يتعلم منه، بخلاف ما عليه أهل الجفاء والكبر، الذين لا يظهرون للمعلم افتقارهم إلى علمه، بل ربما ظن أنه يُعَلِّم معلمه، وهو جاهل، فالتواضع للمعلم، وإظهار الحاجة إلى تعليمه، من أنفع شيء للمتعلم»[(١)].

ثانياً: توقير الدعاة من توقير رسول الله ﷺ:

فالتوقير والأدب مع الدعاة والعلماء مستنبط من الأدب مع رسول الله ﷺ، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٤٨٤.

﴿ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: ٢، ٣].

فتشير الآية إلى عدم رفع الصوت في مجلسه سواء في الحديث معه ﷺ أو مع غيره، ولا يخاطب الرسول ﷺ باسمه وكنيته كما يخاطب الناس بعضهم بعضا.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كانوا يقولون: يا محمد، يا أبا القاسم، فنهاهم عن ذلك إعظاماً لنبيه، فقالوا: يا نبي الله، يا رسول الله»(١)، فأمرهم أن يشرفوه ويوقره، فيقولوا يا رسول الله في رفق ولين(٢).

فقد ربط العلماء بين الأدب مع الله ورسوله وبين الأدب مع العلماء، لأنهم الذين يبلغون عن الله وعن رسول الله ﷺ، ولذا فيجب الأدب مع من يحمل كلام الله وسنة رسول الله ﷺ، وذلك لأنهم هم الوارثون للرسل، والمبلغون شرائعهم من بعدهم.

فلا بد للداعية من وقار وهيبة، مع تواضعٍ ولين جانب، وأن لا ينسى المدعوين أنه معلمهم ومرشدهم، فيدعونه دعاء بعضهم بعضاً.

والداعية وإن صَغُر سِنُّه فهو كبير في أمته ومجتمعه، وإذا جمع بين الدعوة والسن فهذا يزيد الأمر وجوباً وأهمية، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **(إن من إجلال الله؛ إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه)**(٣).

فالإسلام حريص على أن تبقى للداعية منزلة في نفوس من يدعوهم، يستحيون أن يتجاوزوا معها حدود الاحترام والتقدير والتوقير.

(١) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٧/ ٢٦٥٤، الدر المنثور ١١/ ١٢٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٢/ ٣٢٢.

(٣) سنن أبي داوود، كتاب الأدب باب في تنزيل الناس منازلهم(٤٨٤٣) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢١٩٩).

ثالثاً: الوعيد لمن لم يتأدب مع الدعاة والعلماء:

فمن أساء الأدب مع العلماء فقد أساء الأدب مع الله ومع رسول الله ﷺ، لأن هذه الإساءة لن تقف عند أشخاص العلماء، بل تتعدى إلى ما يحملونه من كتاب وسنة، وقد قال النبي ﷺ: **(من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب)**[١]، فإذا لم يكن العلماء من أولياء الله تعالى فمن سيكون من أولياء الله تعالى إذاً؟

فقد روى الخطيب البغدادي عن الشافعي وأبي حنيفة أنهما قالا: «إن لم يكن الفقهاء أولياء لله فليس لله ولي»[٢].

المطلب الثاني

توجيهات السلف بالأدب مع العلماء والدعاة

رويَ عن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعاً وموقفاً أنه قال: «تعلموا العلم، وتعلموا له السكينة والوقار، وتواضعوا لمن تتعلمون منه، ولمن تعلمونه، ولا تكونوا جبابرة العلماء»[٣].

قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه: «من حق المعلم عليك أن تسلم على الناس وتخصه دونهم بتحية، وأن تجلس أمامه، ولا تشيرنّ عنده بيدك، ولا تغمزن بعينك، ولا تقولن: قال فلان خلاف ما تقول، ولا تغتابنّ عنده أحداً ولا تشاور جليسك في مجلسه»[٤].

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع (٦٥٠٢).
(٢) مصرع التصوف ٢٠١.
(٣) جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر ١/ ٥٠١.
(٤) التبيان في آداب حملة القرآن ص ٣٩.

قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وينبغي أن يتواضع لمعلمه ويتأدب معه وإن كان أصغر منه سناً وأقل شهرةً ونسباً وصلاحاً، وينبغي أن ينظر إلى معلمه بعين الاحترام ويعتقد كمال أهليته ورجحانه»(١).

وقال ابن جماعة عند حديثه عن الأدب مع العلماء: «أن لا يتشاغل عنهم، ولا يتحدث في حضرتهم. ولا يستهزئ بهم، قال الصعلوكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من قال لشيخه: لم؟ على سبيل الاستهزاء لم يفلح»(٢).

وقال: «وينبغي أن لا يقطع على الشيخ كلامه، أيَّ كلامٍ كان، ولا يسابقه فيه، بل يصبر حتى يفرغ الشيخ من كلامه ثم يتكلم، ولا يتحدث مع غيره والشيخ يتحدث معه أو مع جماعة المجلس»(٣).

وقال طاووس: «إن من السنة توقير العالم»(٤).

ولقد بلغ السلف في ذلك مبلغاً عظيماً، فقد ورد عن الربيع صاحب الشافعي رحمهما الله أنه قال: «ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر إليَّ هيبةً منه»(٥)

قال عطاء: «إن الرجل ليحدث بالحديث فأنصت له كأني لم أسمعه أبداً وقد سمعته قبل أن يولد»(٦)، هذا مع كل الناس فما بالك لو كان الذي يتكلم معلماً أو شيخاً.

وهنا جانب مهم من توقير الدعاة يقول فيه الشيخ محمد المختار الشنقيطي:

«وليعلم كل طالب منتسب إلى شيخه أن عليه أن يزين هذه النسبة، وألا يشينها، فيكون

(١) التبيان في آداب حملة القرآن ص ٣٨ باختصار.

(٢) جامع بيان العلم وفضله ١/ ١٢٧.

(٣) تذكرة السامع والمتعلم ص ١٠٧.

(٤) تذكرة السامع والمتعلم ١/ ٤٥٩.

(٥) التبيان في آداب حملة القرآن ص ٣٨.

(٦) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٢٠٩.

عفيفاً عن أهل العلم، وعن حدود الله ﷻ ومحارمه، وعن العلماء. وأوصيه بتقوى الله في أهل العلم من السابقين والباقين، ممن قضوا ومضوا رحمة الله على الجميع، أوصي باحترامهم، وتوقيرهم، وحفظ حقوقهم، وكل إنسان محسوب على نفسه، وعندما يقال: هو من طلاب فلان، فلا يؤذي شيخه بل لا يؤذي حتى طلابه ويشينهم. وهذا أمر أحب أن أوصي به؛ لأن الزمان كثرت فيه الفتن، وإن شاء الله طلاب العلم هم أرفع من هذا كله، لكن كثرة الفتن والمحن توجب التنبيه على مثل هذه الأمور»[١].

ومن الأدب معهم عدم مماراتهم، قال الزهري: «كان سلمةَ يماري ابن عباس؛ فحُرِم بذلك علماً كثيراً»[٢].

وقال الحافظ ابن عبدالبر: «ورويناً من وجوه كثيرة عن أبي سلمة -وكان يجادل ويماري ابن عباس- قال: لو رفقت بابن عباس لاستخرجت منه علماً كثيراً»[٣].

قال ميمون بن مهران: «لا تمار من هو أعلم منك، فإنك إن ماريته خزن عنك علمه، ولا يبالي ما صنعت»[٤].

كل هذه النصوص تبين أهمية توقير الدعاة أهل العلم وحسن الخلق معهم.

(١) شرح زاد المستقنع- د. محمد المختار الشنقيطي- مذكرة مفرغة، نسخة المكتبة الشاملة.

(٢) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٥١٧.

(٣) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٥١٩.

(٤) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٥١٨.

المطلب الثالث

نماذج من توقير العلماء والدعاة والأدب معهم

وورد أن زيد بن ثابت رضي الله عنه صلى على جنازه ثم قربت له بغلة ليركبها فجاء ابن عباس رضي الله عنهما فأخذ بركابه فقال له زيد: خل عنك يا ابن عم رسول الله. فقال ابن عباس: هكذا يفعل بالعلماء والكبراء(١).

وكان الإمام أحمد متكئا من علة فذكر عنده إبراهيم بن طهمان فاستوى جالسا وقال: «لا ينبغي أن نذكر الصالحين فنتكئ»(٢).

ورحم الله ابن مندة عندما قيل له إن شُعْبَة قال: «من كتبتُ عنه حديثاً فأنا له عبد، فقال ابن منده: من كتب عنِّي حديثاً فأنا له عبد»(٣).

قال النووي في مقدمة تهذيب الأسماء واللغات: «إنهم أئمتنا وأسلافنا، كالوالدين لنا، وأجدى علينا في مصالح آخرتنا التي هي دار قرارنا، وأنصح لنا فيما هو أعود علينا»(٤).

وكان الشافعي يبادل أحمد الحب والتقدير والإجلال فقال فيه:

قالوا: يزورك أحمد وتزوره ... قلت: الفضائل ما تعدت منزله
إنْ زارني فبفضله أو زرته ... فلفضله، فالفضل في الحالين له(٥)

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/ ٢٧٥.
(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح ٢/ ٢٦.
(٣) ذيل الطبقات لابن رجب الحنبلي ١/ ٢٨.
(٤) تهذيب الأسماء للنووي ١/ ١١.
(٥) شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد ٢/ ٥٩.

وسأل رجل الإمام أحمد فقال: بالري -مدينة- شاب يُقال له: أبو زُرعة، فغضب أحمد، وقال: تقول شاب؟ كالمنكر عليه، ثمَّ رفع يديه يدعو الله ﷻ لأبي زُرعة ويقول: «اللهم انصره على من بغي عليه، اللهم عافه، اللهم ادفع عنه البلاء، اللهم..، اللهم..، في دعاء كثير»[١].

قال العراقي: «لا ينبغي للمحدث أن يحدث بحضرة من هو أولى منه بذلك، وكان إبراهيم والشعبي إذا اجتمعا لم يتكلم إبراهيم بشيء»[٢].

وقال ابن الشافعي: «ما سمعت أبي ناظر أحداً قط فرفع صوته»[٣].

وقال البخاري: «ما رأيت أحداً أوقر للمحدثين من يحيى بن معين»[٤].

وقال عطاء بن أبي رباح: «إن الرجل ليحدثني بالحديث، فأُنصت له كأني لم أسمعه أبداً. وقد سمعته قبل أن يولد»[٥].

وقال الشافعي: «ما ناظرت أحداً قط إلا وتمنيت أن يجري الله الحق على لسانه»[٦].

---

(١) سير السلف الصالحين لإسماعيل بن محمد الأصبهاني ١/ ١٢٢٥.
(٢) الشذا الفياح في علوم ابن الصلاح ٣٨٧.
(٣) تهذيب الأسماء واللغات للنووي ١/ ٦٦.
(٤) تلبيس إبليس لابن الجوزي١/ ٢٢١.
(٥) الآداب الشرعية والمنح المرضية لابن مفلح ٢/ ١٧٠.
(٦) سير أعلام النبلاء ٨/ ٢٤٥.

المبحث الثاني

المناصحة وعدم التقليد لأخطاء الدعاة

من المعلوم أن العلماء والدعاة بشر غير معصومين يصيبون ويخطئون، والحي لا تؤمن عليه الفتنة، والخطأ في الاجتهاد الفقهي أو الدعوي وارد.. ولذا كانت المناصحة من حقوق الدعاة إلى الله تعالى، وكذلك عدم التقليد لهم حتى لا يوقعوهم في الحرج ويوقعوا غيرهم فيه.

فعن تميم الدّاريّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (الدّين النّصيحة). قلنا: لمن؟ قال: (لله ولكتابه ولرسوله ولأئمّة المسلمين وعامّتهم).

ويمكن بيان لنماذج من المناصحة وعدم التقليد لأخطاء الدعاة في مطلبين:

المطلب الأول: نماذج لمناصحة الدعاة عند الخطأ.

المطلب الثاني: أمر السلف بعدم تقليدهم على الخطأ.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة (٥٥).

المطلب الأول

نماذج لمناصحة الدعاة عند الخطأ

قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «رحم الله امرءاً أهدى إليَّ عيوبي»(١).

وهذا إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل يقول: «لا نزال بخير ما كان في الناس من ينكر علينا»(٢).

وموقف عمر بن عبدالعزيز مع مربيه صالح بن كيسان -رحمهم الله-، حين قال له: كيف كانت طاعتي إياك وأنت تؤدبني؟! قال: أحسن طاعة، قال: فأطعني الآن كما كنت أطيعك، خذ من شاربك حتى تبدو شفتاك، ومن ثوبك حتى تبدو عقباك(٣).

وقال ابن وهب: «سمعت مالكاً سئل عن تخليل أصابع الرجلين في الوضوء؟، فقال: ليس ذلك على الناس، قال ابن وهب: فتركته حتى خف الناس -أي انصرفوا- فقلت له: عندنا في ذلك سنة، فقال: وما هي؟ قلت: حدثنا الليث بن سعد وابن لهيعة وعمرو بن الحارث عن يزيد بن عمرو المعافري عن أبي عبدالرحمن الحُبُلي عن المستورد بن شداد القرشي، قال: **(رأيت رسول الله يدلك بخنصره ما بين أصابع رجليه)**، قال مالك: إن هذا الحديث حسن، وما سمعت به قط إلاَّ الساعة، ثمَّ سمعته بعد ذلك يُسأل فيأمر بتخليل الأصابع»(٤).

وحكى عبدالرحمن بن مهدي عن شيخه عبيد الله بن الحسن العنبري -رحمهم الله- قائلاً: كنا في جنازة فسألته عن مسألة، فغلط فيها، فقلت له: أصلحك

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٢٩٣، سنن الدارمي ١/ ٥٠٦ (٦٧٥).
(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح ـ١/ ١٩٥٠.
(٣) عيون الأخبار لابن قتيبة ـ١/ ٤١٩.
(٤) مقدمة الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ص ٢٥-٢٦.

الله، القول فيها: كذا وكذا، فأطرق ساعة ثم رفع رأسه، فقال: إذاً أرجع وأنا صاغر، لأن أكون ذَنَباً في الحق أحب إليَّ من أن أكون رأْسَاً في الباطل»[١].

قال أبوبكر بن العربي: أخبرني محمد بن قاسم العثماني أنه حضر مجلس الشيخ أبي الفضل الجوهري -رحمهم الله-، فقال في مجلس له: «إن النبي طلق وظاهر وآلى»، فقال له تلميذه العثماني: سمعتك تقول: «آلى رسول الله وصدقت، وطلق رسول الله وصدقت، وقلت ظاهر رسول الله وهذا لم يكن ولا يصح أن يكون؛ لأن الظهار منكر من القول وزور، وذلك لا يجوز أن يقع من النبي ﷺ، فضمني إلى نفسه وقبَّل رأسي، وقال لي: أنا تائب من ذلك جزاك الله عني من معلم خيراً، وفي اليوم التالي عندما دخلت الجامع قال لي: مرحباً بمعلمي، وافسحوا لمعلمي»[٢].

حكيَ أن رجلاً من البصرة حج، فجلس بمجلس عطاء بن أبي رباح، فقال: «سمعت الحسن يقول: من كان فيه ثلاث خصال لم أتحرج أن أقول إنه منافق، فقال له عطاء: إذا رجعت له فقل له: عطاء يقرؤك السلام، ويقول لك: ما تقول في إخوة يوسف إذ حدثوا فكذبوا، ووعدوا فاخلفوا، وائتمنوا فخانوا، أكانوا منافقين؟! ففعل فسر الحسن، وقال: جزاه الله خيراً. وقال لأصحابه إذا سمعتم مني حديثاً، فاصنعوا كما صنع أخوكم، حدثوا به العلماء فإن كان صواباً فحسن، وإذا كان غير ذلك فردوه عليَّ»[٣].

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر ٧/ ٧.
(٢) أحكام القرآن لابن العربي ١/ ٢٤٩.
(٣) فيض القدير لعبدالرؤوف المناوي ١/ ٦٣.

المطلب الثاني

أمر السلف بعدم تقليدهم على الخطأ

ومن النصيحة لهم عدم إقرارهم على الخطأ وتقليدهم فيه والتعصب لهم في ذلك، **قال ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ألا لا يقلدنا أحدكم دينه رجلاً إن آمنَ آمن، وإن كفرَ كفر، فإنه لا أسوة في الشر»[١].

قال الماوردي: «ولا ينبغي للمتعلم أن تبعثه معرفة الحق له على قبول الشبهة منه، ولا يدعوه ترك الإعنات له على التقليد فيما أخذ عنه، فإنه ربما غلا بعض الأتباع في عالمهم حتى يروا أن قوله دليلٌ، وإن لم يستدل، وأن اعتقاده حجة؛ وإن لم يحتج، فيفضي بهم الأمر إلى التسليم فيما أخذ.

ولقد رأيت من هذه الطبقة رجلاً يناظر في مجلس، وقد استدل عليه الخصم بدلالة صحيحة، فكان جوابه عنها أنه قال: هذه دلالة فاسدة، ووجه فسادها أن شيخي لم يذكرها، وما لم يذكره الشيخ فلا خير فيه، فأمسك عنه المستدل تعجباً»[٢].

وكان هذا منهج كل الدعاة وعلى رأسهم الأئمة الأربعة وكانوا يوصون بذلك:

فقال أبو حنيفة: «لا يحلُّ لمن يُفتي من كُتُبي أن يُفتي حتى يعلم من أين قلتُ»[٣].

ويقول الإمام مالك عن نفسه: «إنما أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه...»[٤].

(١) الاعتصام للشاطبي ٢/ ٣٥٩.
(٢) أدب الدين والدنيا للماوردي ص ٢٩.
(٣) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة لابن عبدالبر ص ١٤٥.
(٤) تاريخ أصبهان ص١٥٥.

والشافعي يقول: «إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ، فقولوا بسنة رسول الله ﷺ، ودعوا ما قلت»[(١)].

وقال الإمام أحمد: «لا تقلدني ولا تقلد مالكاً ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري وخذ من حيث أخذوا...»[(٢)].

(١) إيقاظ الهمم ص ٧٢.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٣/ ٤٣٠.

المبحث الثالث
النصرة والتأييد للدعاة

الدعاة إلى الله في حاجة إلى تأييد ونصرة من الله أولاً ومن المجتمع والدعاة كذلك، ومن ولاة الأمر والقائمين على أمور الدعوة.

وهذه النصرة تتمثل في أمور منها:

المطلب الأول: النصرة والتأييد في تبليغ الدعوة.

المطلب الثاني: النصرة بتوعد الذين يؤذون الدعاة.

المطلب الثالث: النصرة برد التهم عن الدعاة.

المطلب الرابع: النصرة بالدفاع عن الدعاة أمام الطغاة.

المطلب الأول
النصرة والتأييد في تبليغ الدعوة

فقد طلب موسى عليه السلام من ربه من ينصره ويعينه على دعوته، فلبى الله تعالى طلبه، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾ [القصص ٣٣ - ٣٥].

«فموسى عليه الصلاة والسلام طلب من ربه أن يساعده بأخيه هارون لأنه كما قال تعالى في بيان سبب ذلك الطلب: ﴿وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ ومعنى ردءاً أي: وزيراً ومعيناً ومقوّياً لأمري يصدقني فيما أقوله، ويبين عني ما أكلمهم به فإنه أفصح مني لساناً، ويفهم عني ما لا يفهمون، فالداعي المسلم لا يتردد أبداً في الاستعانة بكفاءة غيره من المسلمين وقدرته في مجال الدعوة، وسيكون مسروراً جدًّا إذا ما وجد مسلماً ذا قدرة وكفاءة وأمانة في أمور الدعوة مع رغبته في الإسهام في هذا المجال، وإذا ما أحس الداعي بضيق في صدره من عمل المسلم الكفء في الدعوة إلى الله، فإن إخلاصه لا بد أن يكون مشوباً بحب السمعة والرياء فليسارع إلى تنقية إخلاصه، وفسح المجال للكفء الأَمين بالإسهام في جهاد الدعوة إلى الله تعالى»(١).

فالأخوة رحمة من رحمات الله «والاستعانة إذا كانت بأولي القربى من أهل النسب، أو التربية، أو الصحبة القديمة كانت أكمل؛ لما يقع في ذلك من مجانسة

(١) أصول الدعوة د. عبد الكريم زيدان ٢/ ١٤.

خلقهم لخلقه، فتتم المشاكلة في الاستعانة»[١].

وهذا صاحب ياسين يقول الله عنه: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٣، ١٤]، وقال تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [يس:٢٠].

المطلب الثاني

النصرة بتوعد الذين يؤذون الدعاة

وهذا الأمر مستنبط مما حظي به النبي ﷺ من النصر وتأييد من ربه جل وعلا، فقد توعد الذين يريدون إخراج النبي بالنفي والهلاك في الأرض، قال تعالى: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ﴾ [التوبة: ١٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٦ - ٨١] «أي: من بغضهم لمقامك بين أظهرهم، قد كادوا أن يخرجوك من الأرض، ويجلوك منها. ولو فعلوا ذلك، لم يلبثوا بعدك فيها إلا قليلاً حتى تحل بهم العقوبة، كما هي سنة الله التي لا تحول ولا تبدل في جميع الأمم، كل أمة كذبت رسولها وأخرجته، عاجلها الله بالعقوبة، ولما مكر به الذين كفروا وأخرجوه، لم يلبثوا إلا قليلاً حتى أوقع الله بهم ببدر وقتل صناديدهم، وفض بيضتهم، فله الحمد»[٢].

(١) مقدمة ابن خلدون ص٣١٩

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٤٦٤.

وقال تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب٦٠- ٦٢]. أي «لنسلطنك عليهم، ثم لننفينهم عن مدينتك فلا يسكنون معك فيها إلا قليلاً، في المدة والأجل حتى ننفيهم عنها، فنخرجهم منها»(١).

ومن دفاع الله تعالى عن نبيه ﷺ أنه بشره انقطاع ذكر الكفار الذين يؤذون الرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣]. أي: «مبغضك وذامك ومنتقصك ﴿هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ أي: المقطوع من كل خير، مقطوع العمل، مقطوع الذكر، وأما محمد ﷺ، فهو الكامل حقًّا، الذي له الكمال الممكن في حق المخلوق، من رفع الذكر، وكثرة الأنصار والأتباع ﷺ»(٢).

المطلب الثالث

النصرة برد التهم عن الدعاة

وعندما اتهمه الكفار بالشعر والكهانة دافع الله عن نبيه ﷺ، بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحاقة ٤٠-٤٣].

وعندما قالوا عنه أنه هو من أتى بالقرآن من عند نفسه دافع الله عنه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟

(١) جامع البيان ١٩/ ١٨٦ مختصراً.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٩٣٦.

أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٥ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ [الفرقان: ٦].

وعندما أنكروا أن يكون الله أرسل نبيًّا من البشر ولم يكن ملكاً ولا صاحب مال، واتهموه بأنه ساحر بقولهم: ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴾ [الفرقان: ٧، ٨]. فرد الله عليهم بقوله: ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَٰلَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ۝٩ تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيۡرٗا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَيَجۡعَل لَّكَ قُصُورَۢا ﴾ [الفرقان: ٩، ١٠].

وعندما اتهمه المنافقون أنه يقبل كل ما يقال له، لا يميز بين صادق وكاذب كما في قوله تعالى: ﴿ وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ ﴾ [التوبة: ٦١]. فرد الله عليهم بقوله: ﴿قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [التوبة: ٦١]. أي: يقبل من قال له خيراً وصدقاً، وأما إعراضه وعدم تعنيفه لكثير من المنافقين المعتذرين بالأعذار الكذب، فلسعة خلقه، وعدم اهتمامه بشأنهم، وأما حقيقة ما في قلبه ورأيه، فقال عنه: ﴿ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ أي: يعلم الصادق من الكاذب، وإن كان كثيراً ما يعرض عن الذين يعرف كذبهم وعدم صدقهم، ﴿ وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ ﴾ فإنهم به يهتدون، وبأخلاقه يقتدون. وأما غير المؤمنين فإنهم لم يقبلوا هذه الرحمة بل ردوها، فخسروا دنياهم وآخرتهم، ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ بالقول أو الفعل ﴿ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ في الدنيا والآخرة، ومن العذاب الأليم أنه يتحتم قتل مؤذيه وشاتمه»[1].

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٣٤٢ باختصار.